أم حبيبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

- ﴿عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً ۚ وَاللَّهُ قَدِيرٌ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الممتحنة: ٧].

اسمها ونسبها:

أم حبيبة أم المؤمنين السيدة المحجبة: رملة بنت أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي.

وأمُّها صفية بنت أبي العاص بن أمية.

مولدها:

ولدت قبل البعثة.

صفاتها:

صبورة تقية.

حياتها:

تعد أم حبيبة من بنات عم الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ليس في أزواجه من هي أقرب نسبًا إليه منها، ولا في نسائه من هي أكثر صداقًا منها، ولا من تزوج بها وهي نائية الدار أبعد منها. توفي عنها زوجها الذي هاجر بها إلى الحبشة: عبيدالله بن جحش بن رياب الأسدي، مرتدًّا متنصرًا.

عقد له صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عليها بالحبشة، وأصدقها عنه صاحب الحبشة أربع مئة دينار، وجهزها بأشياء. قالت أم حبيبة: لما انقضت عدتي فما شعرت إلا برسول النجاشي على بابي يستأذن، فإذا جارية له يقال لها أبرهة، كانت تقوم على ثيابه ودهنه، فدخلت عليَّ فقالت: إن الملك يقول لك: إن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كتب إليَّ أن أزوجه، فقالت: بشرك الله بخير. قالت يقول لك الملك: وكلي من يزوجك.

فأرسلت إلى خالد بن سعيد بن العاص فوكلته، وأعطت أبرهة سوارين من فضة، وخدمتين كانتا في رجليها، وخواتيم فضة كانت في أصابع رجليها، سرورًا بما بشرتها، فلما كان العشى أمر النجاشي جعفر بن أبي طالب ومن هناك من المسلمين، فحضروا فخطب النجاشي، فقال:

الحمد لله الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار، أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله، وأنه الذي بشر به عيسى ابن مريم، صلى الله عليهما وسلم، أما بعد: فإن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

كتب إليَّ أن أزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان، فأجبت إلى ما دعا إليه رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وقد أصدقتها أربع مئة دينار. ثم سكب الدنانير بين يدي القوم، فتكلم خالد بن سعيد، فقال:

الحمد لله، أحمده وأستعينه وأستنصره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، أما بعد: أجبت إلى ما دعا إليه رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وزوجته أم حبيبة بنت أبي سفيان، فبارك الله لرسول الله.

ودفع الدنانير إلى خالد بن سعيد بن العاص فقبضها، ثم أرادوا أن يقوموا، فقال: اجلسوا، فإن سنة الأنبياء إذا تزوجوا أن يؤكل طعام على التزويج، فدعا بطعام وأكلوا ثم تفرقوا.

قالت أم حبيبة: فلما وصل إليَّ المال أرسلت إلى أبرهة التي بشرتني، فقلت لها: إني كنت أعطيتك ما أعطيتك يومئذ ولا مال بيدي، فهذه خمسون مثقالًا، فخذيها فاستعيني بها. فأبت وأخرجت حُقًّا فيه كل ما كنت أعطيتها فردته عليَّ، وقالت عزم عليَّ الملك: أن لا أرزأك شيئًا، وأنا التي أقوم على ثيابه ودهنه، وقد اتبعت دين محمد رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وأسلمت لله عَزَّوَجَلَّ، وقد أمر الملك نساءه أن يبعثن إليك بكل ما عندهن من العطر.

قالت: فلما كان الغد جاءتني بعود وورس وعنبر وزباد كثير، فقدمت بذلك كله على رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فكان يراه عليَّ وعندي

فلا ينكره، ثم قالت أبرهة: فحاجتي إليك أن تقرئي على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مني السلام، وتعلميه أني قد اتبعت دينه. قالت: ثم لطفت بي، وكانت التي جهزتني، وكانت كلما دخلت عليَّ تقول: لا تنسى حاجتي إليك. قالت: فلما قدمت على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخبرته كيف كانت الخطبة، وما فعلت بي أبرهة، فتبسم، وأقرأته منها السلام، فقال: وعليها السلام ورحمة الله وبركاته[1].

وقد كان لأم حبيبة حرمة وجلالة، ولا سيما في دولة أخيها؛ ولمكانه منها، قيل له: خال المؤمنين[2].

وعن عبد الواحد بن أبي عون، قال: لما بلغ أبا سفيان نكاح النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ابنته، قال: ذاك الفحل، لا يقرع أنفه[3].

عن الزهري، قال: لما قدم أبو سفيان المدينة، والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يريد غزو مكة، فكلمه في أن يزيد في الهدنة، فلم يقبل عليه. فقام فدخل على ابنته أم حبيبة، فلما ذهب ليجلس على فراش النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، طوته دونه. فقال: يا بنية، أرغبت بهذا الفراش عني، أم بي عنه ؟ قالت: بل هو

---

(١) أخرجه الحاكم (٤/ ٢٠-٢٢ رقم٦٧٧٠)، وابن سعد في الطبقات الكبرى (٨/ ٩٧-٩٨)، والبيهقي في دلائل النبوة (٤/ ٤٥ رقم١٣٤٦)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٦٩/ ١٤٢-١٤٤)، وانظر: سبيل الهدى والرشاد (١١/ ١٩٤-١٩٥)، وصفة الصفوة (٢/ ٤٢-٤٥).

(٢) انظر: تاريخ دمشق (٥٩/ ٥٥)، وسير أعلام النبلاء (٢/ ٢٢٢)، وتاريخ الإسلام (٢/ ٣٠٤)، والبداية والنهاية (٤/ ١٦٣)، وتفسير السيوطي (١٤/ ٤١٠)، والخصائص الكبرى له (ص٣٩٠)، وإمتاع الأسماع (١٠/ ٢٦٣-٢٦٤)، وذخيرة الحفاظ (٣/ ١٥٧٨ رقم٣٤٩٨).

(٣) أخرجه الحاكم (٤/ ٢٢ رقم٦٧٧٣)، وابن سعد في طبقاته (٨/ ٩٩)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٣/ ٤٤٦)، وانظر: سير أعلام النبلاء (٢/ ٢٢٢).

فـراش رسـول الله، وأنـت امرؤ نجس مـشرك. فقال: يا بنيـة، لقد أصابك بعدي شر[1].

عن عوف بن الحارث: سـمعت عائشـة تقول: دعتني أم حبيبة عند موتها، فقالت: قد كان يكون بيننا ما يكون بين الضرائر، فغفر الله لي ولك ما كان من ذلك.

فقلـت: غفر الله لك ذلك كله، وحللك من ذلك، فقالت: سررتني سرك الله، وأرسلت إلى أم سلمة، فقالت لها مثل ذلك[2].

وفاتها:

ماتت بالمدينة سنة أربع وأربعين للهجرة عن ثمانٍ وستين سنة.

أسباب نزول الآيات

﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً ۚ وَٱللَّهُ قَدِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الممتحنة: ٧].

---

(١) أخرجه ابن سـعد في الطبقات الكبرى (٨/ ٩٩-١٠٠)، وابن عسـاكر في تاريخ دمشـق (٦٩/ ١٥٠)، وانظـر: سـير أعـلام النبـلاء (٢/ ٢٢٣)، والبداية والنهايـة (٤/ ٣٢٠)، وسبيل الهدى والرشاد (٥/ ٢٠٦).

(٢) انظـر: سـير أعـلام النبـلاء (٢/ ٢١٨-٢٢٣ رقـم٢٣)، وصفة الصفـوة (٢/ ٤٢-٤٦ رقـم١٣٠)، وتهذيب الكـمال (٣٥/ ١٧٥ رقـم٧٨٤١)، وتاريخ دمشـق (٦٩/ ١٣٠-١٥٣ رقم٩٣٣٩).

عـن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في هذه الآيـة: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً﴾، قـال: كانـت المـودة التي جعـل الله بينهم تزويج النبـي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أم حبيبة بنت أبي سـفيان؛ فصـارت أم المؤمنين، وصار معاويـة خال المؤمنين. كـذا في رواية الكلبي، وذهـب علماؤنا إلى أن هذا حكـم لا يتعـدى أزواج النبـي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهـن يصرن أمهـات المؤمنين في التحريـم، ولا يتعـدى هـذا التحريـم إلى أخواتهـن، ولا إلى بناتهـن، والله أعلم[1].

وعن ابن عباس قال: كان المسـلمون لا ينظرون إلى أبي سـفيان ولا يقاعدونه، فقـال للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يا نبي الله ثلاث أعطنيهن. قال: نعم. قال: عندي أحسـن العرب وأجمله: أم حبيبة بنت أبي سـفيان أزوجكها. قـال: نعم قال: ومعاوية تجعلـه كاتبًا بين يديك. قال: نعم. قال: وتؤمرني حتـى أقاتل الكفار كما كنت أقاتل المسـلمين. قال: نعـم. قال أبو زميل: ولـولا أنه طلـب ذلك من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مـا أعطاه ذلـك، لأنه لم يكن يسأل شيئًا، إلا قال نعم[2].

واعلم أن هذا الحديث من الأحاديث المشـهورة بالإشكال، ووجه الإشكال: أن أبا سفيان أنما أسلم يوم فتح مكة سنة ثمان من الهجرة، وهذا

---

(١) أخرجـه البيهقـي في دلائـل النبـوة (٤/ ٤١ رقـم١٣٤٢)، وابـن عسـاكر في تاريـخ دمشـق (٣/ ٢٠٧-٢٠٨)، وانظـر: تفسـير السـيوطي (١٤/ ٤١٠)، والخصائـص الكـبرى لـه (ص٣٩٠)، وإمتـاع الأسـماع (١٠/ ٢٦٣-٢٦٤)، وذخـيرة الحفـاظ (٣/ ١٥٧٨رقم٣٤٩٨).

(٢) أخرجه مسلم (٤/ ١٩٤٥ رقم٢٥٠١).

مشهور لا خلاف فيه، وكان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد تزوج أم حبيبة قبل ذلك بزمان طويل. قال أبو عبيدة وخليفة بن خياط وابن البرقي والجمهور: تزوجها سنة ست. وقيل: سنة سبع. قال القاضي عياض: واختلفوا أين تزوجها؟ فقيل بالمدينة بعد قدومها من الحبشة. وقال الجمهور: بأرض الحبشة. قال: واختلفوا فيمن عقد له عليها هناك. فقيل: عثمان، وقيل: خالد بن سعيد بن العاصي بإذنها، وقيل: النجاشي، لأنه كان أمير الموضع وسلطانه. قال القاضي: والذي في مسلم هنا أنه زوجها أبو سفيان غريب جدًّا، وخبرها مع أبي سفيان حين ورد المدينة في حال كفره مشهور، ولم يزد القاضي على هذا. وقال ابن حزم: هذا الحديث وهم من بعض الرواة، لأنه لا خلاف بين الناس: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تزوج أم حبيبة قبل الفتح بدهر، وهي بأرض الحبشة وأبوها كافر. وفي رواية عن ابن حزم أيضًا أنه قال: موضوع. قال: والآفة فيه من عكرمة بن عمار الراوي عن أبي زميل. وأنكر الشيخ أبو عمرو بن الصلاح رَحِمَهُ اللَّهُ هذا على ابن حزم، وبالغ في الشناعة عليه، قال: وهذا القول من جسارته، فانه كان هجومًا على تخطئة الأئمة الكبار وإطلاق اللسان فيهم. قال: ولا نعلم أحدًا من أئمة الحديث نسب عكرمة بن عمار إلى وضع الحديث، وقد وثقه وكيع ويحيى بن معين وغيرهما، وكان مستجاب الدعوة. قال: وما توهمه ابن حزم من منافاة هذا الحديث لتقدم زواجها غلط منه وغفلة، لأنه يحتمل أنه سأله تجديد عقد النكاح تطييبًا لقلبه، لأنه كان ربما يرى عليها غضاضة من رياسته، ونسبه أن تزوج بنته بغير رضاه، أو أنه ظن أن إسلام الأب في مثل هذا يقتضي تجديد العقد، وقد خفي أوضح من هذا

عـلى أكبر مرتبة من أبي سـفيان ممن كثر علمـه وطالت صحبته. هذا كلام أبي عمـرو رَحِمَهُ ٱللَّهُ. وليس في الحديث أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جدد العقد، ولا قال لأبي سـفيان: أنه يحتاج إلى تجديده، فلعله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أراد بقوله: نعم. أن مقصودك يحصل، وإن لم يكن بحقيقة عقد. والله أعلم[1].

(١) شرح النووي على صحيح مسـلم (١٦/ ٦٣-٦٤)، وانظر: كشـف المشـكل من حديث الصحيحين، أبو الفرج عبدالرحمن ابن الجوزي (١/ ٥٩٥)، وإمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، تقي الدين أحمد بن علي المقريزي (٦/ ٦٧-٧٣).